وراء الصهيونية.

كتيِّب هرتسل، الذي نشر في العام ١٨٩٦، عن الدولة اليهودية التي دعا اليها، قوبل من الاوساط اليهودية بردود فعل متضاربة، بين التحبيذ والتشجيع، والرفض والاستنكار. مع ذلك، وجد هرتسل، ومعه لفيف من المجنّدين المتحمّسين، ان المحصلة النهائية جاءت لصالح الدعوة، فقرروا عقد مؤتمر يهودي صهيوني تشترك فيه وفود تمثّل جميع الطوائف اليهودية في اوروبا واميركا.

في آب (اغسطس) ١٨٩٧، عقد أول مؤتمر صهيوني في مدينة بازل السويسرية. وفي خطاب الافتتاح، أوجز هرتسل الغرض والهدف للمؤتمرين، بالقول: «نحن هنا، اليوم، لارساء الحجر الاساس للبيت الذي سيكون الملاذ والملجأ والمأوى للشعب اليهودي». وقدّم مشروعاً سياسياً يقوم على ثلاثة مباديء أساسية: اولاً، توسيع وتعزيز الاستيطان اليهودي في فلسطين بشكل منتظم؛ ثانياً، الحصول على اعتراف دولي «بحق اليهود الشرعي» للاستيطان في فلسطين؛ ثالثاً، اقامة منظمة دائمة لتوحيد جميع اليهود حول القضية الصهيونية.

هذه المباديء الثلاثة، على الرغم من صوغها، احياناً، بتعابير مختلفة لتتلاءم مع الظروف القائمة، ظلت، دائماً، جوهر السياسة الصهيونية وبرنامج دبلوماسيتها. ومع ان زمراً عدة ظهرت فيما بعد بسبب اختلاف الآراء حول أولوية وأهمية قضية بالنسبة الى أخرى، غير ان الصهيونية ظلت، على الدوام، متماسكة، وموحّدة، ومستمرة، لم تفتقر الى وضوح الرؤية والهدف.

خلال السنوات التي أعقبت المؤتمر الصهيوني الاول، تركّز النشاط الصهيوني على كل من بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية لجعلهما القاعدة الصلبة التي ستمد الحركة بما تحتاج اليه من دعم سياسي وعون مادي في المستقبل. كان اختيار بريطانيا بسبب اقتناع هرتسل بأن هذه الامبراطورية، بممتلكاتها الواسعة فيما وراء البحار، مؤهلة، أكثر من غيرها، لتقبّل، ودعم، المشروع الصهيوني، ووضع قطعة أرض من مستعمراتها في آسيا، أو افريقيا، تحت تصرّف الصهيونية. امّا اختيار الولايات المتحدة الاميركية، فكان بسبب الطوائف اليهودية الكبيرة فيها، التي يمكن اجتذابها الى الصهيونية، وتأمين دعمها المادي، والمعنوي.

لم تخيّب بريطانيا أمل هرتسل فيها، فوافقت، في العام ١٩٠٢، على طلب الصهيونيين استعمال مساعيها الحميدة لدى الحكومة المصرية للسماح باقامة عدد من المستوطنات اليهودية في شبه جزيرة سيناء. لكن المحاولة باءت بالفشل، بسبب الرفض المصري. بعد ذلك، عرضت بريطانيا على الصهيونيين مستعمرة اوغندا، فسافر وفد صهيوني لدرس الاوضاع، وعاد برأي محبّذ ومشجّع. غير ان المحاولة فشلت، أيضاً، بسبب اصرار بعض الفئات الصهيونية على فلسطين بالذات دون اية بقعة أخرى.

بعد وفاة هرتسل، في العام ١٩٠٤، عقد المؤتمر الصهيوني السابع، واتخذ قراراً، بأغلبية الاصوات، يلزم الحركة برفض أي مكان آخر، غير فلسطين، للدولة اليهودية المرتقبة.

بعد العام ١٩١٢، أصبح لويس براندیس، القاضي في المحكمة العليا الاميركية والصديق الحميم للرئيس الاميركي وودرو ويلسون، أهمّ شخصية في الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة الاميركية، فوجّه نداء حارّاً الى جميع المثقفين اليهود الاميركيين لمقاومة، ورفض، أية محاولة ترمي الى استيعاب اليهود في المجتمع الاميركي، الذي سيكون، بالنسبة الى اليهود، بمثابة «انتحار قومي»،